

هَلْ كَانَتْ مُوزِيٌّ عَفَائِدُ السُّومَرِيِّينَ وَالْأَكَدِيِّينَ إِلَهَ الْخُصُوبَةِ أَوْ مِنْ آلِهَةِ الْمَوْتِ

نائب صون ماجستير في الآثار القديمة

المقدمة :

يفصح عنه الترابط المنطقي للأحداث متخذاً من ذلك سبيلاً للوصول الى الحقائق العامة عن الموضوع .
والآن ارى لزاماً عليّ ان اتحدث عن الأسباب التي حدثت بي الى الشك بحقيقة دور الاله «تموز» وتساؤلي عما اذا كان الهاً للخصوبة فعلاً او انه احد آلهة الموت في العراق القديم ، ووضح ايضاً السبب الذي جعلني اقصر موضوع هذا البحث على تحديد طبيعة الاله «تموز» تاركاً مسألة موته وبعثه الى بحث اخر .

ان بداية اهتمامي بموضوع الاله «تموز» تعود الى الفترة التي كنت اعكف فيها على تحضير رسالتي للماجستير والتي كان موضوعها «عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة» ، حيث كان الفصل الأول منها يدور موضوعه حول تلك القسمة الأبدية التي وضعها سكان العراق القدماء للخلود والموت بين الآلهة والبشر ، وكان يتوجب عليّ آنذاك دراسة ما ورد من اشارات في النصوص المسارية حول مقتل بعض الآلهة وتعليل تلك الاشارات مع تبيان أثرها على مبدأ خلود الآلهة ، وبالطبع كانت مسألة موت الاله «تموز» ابرز الحالات الواجب دراستها ، وكنت في بداية الأمر مقتنعاً بالفكرة السائدة التي تقول بأن الاله «تموز» كان يتعرض سنوياً للموت مع ذبول الخضر خلال فصل الصيف ويقوم ثانية في الربيع حيث تزدهر الطبيعة وتزداد

اعرف انه تكاد تبدو في هذا التساؤل غرابة ، فما تعودنا الحديث عن «دموزي» (او «تموز» بصيغته السامية) الا بصفتها الهاً للخصوبة ، وما تعودنا ان يرتبط ذكره مرة بالوهية الموت ، وانما عرفناه من خلال ما كتب عنه قبلاً بأنه فريسة للموت فقط ، وكان يغلبنا ظن منبعث من عقلانية معاصرة بأن لا فريسة امتلكت يوماً زمام امر امتحنت به . تلك غرابة في الموضوع وثمة تساؤل قد يبديه المرء حين يجد ان مدار البحث لا يغور في قضية ، لم يكتب عن «تموز» حتى اليوم الا من خلال تفاصيلها ، ولم يرد ذكره الا مقترناً بها ، تلك هي قضية موته وبعثه في كل عام ، فذلك هو ما تواتر عليه الباحثون وذلك هو ما عرفناه عنه ولكني اليوم اسلك منهجاً جديداً في دراسة طبيعة هذا الاله في محاولة لتجنب ما سار عليه غيري ، ومبدؤه الشك بالأراء التي لم يسندها الدليل ومن ثم رفضها ، وعماده الأحاطة بكل ما يتصل بالموضوع من نصوص مسارية ، مستخلصاً منها كل ما يمكنني استخلاصه من ادلة تفيد في توضيح جوانبه المختلفة دون تحميل تلك النصوص اكثر مما تحتمله محتوياتها ، وفي الجوانب التي يعز فيها الدليل الواضح المستمد من النصوص المسارية احدد الثغرات موفياً حاجتها للأدلة مستفيداً مما

هل كان «دموزي» (تموز) الها للخصوبة ؟

لقد ذهب العديد من الباحثين الى الاعتقاد بشكل او بآخر بأن «تموز» كان الها للخصوبة في عقائد سكان العراق القدماء ، فالأستاذ «ساگز» (H. W. Saggs) مثلاً افترض بأنه كان بصورة عامة اله الخصوبة الميت^(١).

ونهب الاستاذ الراحل «ياكسن» (Th. Jacobsen) الى القول بأن الآله «تموز» كان تجسيدا للقوة المسببة للتكاثر وانتاج الحليب^(٢).

اما الاستاذ «صموئيل نوح كيريم» (S. N. Kramer) فقد اعتبره الاله الراعي الذي لا يمكن ان تتم ولادة القطعان دون حضوره^(٣).

وهناك من الباحثين من جعل الاله «تموز» اله الخصوبة على وجه الأطلاق والمسؤول عن النبات والماشية كما ذهب الاستاذ الدكتور فاضل عبدالواحد [عشتار ومأساة تموز ، بغداد ، ١٩٧٣] راجع الصفحات : ٢١ ، ٢٣ ، ٥٣ - ٥٤ ، ١٢٩ ، ١٦٧ ، ١٨٣ - ١٨٤] ، وبالطبع هناك آراء أخرى عديدة بصد الموضوع الا انها لم تخرج عن هذا النطاق وليس فيها جديد يضاف الى ما ذكرنا

لقد حاول بعض الباحثين القائلين بأن «دموزي» (تموز) كان إله الخصوبة في العراق القديم استنباط الدليل على صحة آرائهم من احد الالقاب التي عرف بها الاله «تموز» في بعض النصوص المسارية ، ذلك هو لقب «الثور» او «الثور الوحشي» [د. فاضل عبدالواحد ، عشتار ومأساة تموز ، ص ٢٣] ، غير اننا يجب ان نرفض هذا الدليل لسببين واضحين هما :

أولاً : ان الاله «دموزي» لم يكن الوحيد الذي اقترن اسمه بهذا اللقب عند سكان العراق القدماء ، فقد لقبوا به ايضاً آله أخرى هي :

١ - اله السماء « Anu » وقد وصف في الاسطورة السومرية المعروفة باسم «انكي وتنظيم الكون» بأنه «الثور الوحشي» العظيم اذ يرد فيها على لسان الاله «انكي» (أيا) : «أنا البذرة المخصبة ، انجيني الثور الوحشي العظيم ، انا الابن البكر للاله أنو»^(٤) كما ان الاله «انكي» نفسه يشبه بالثور في هذه الاسطورة وذلك في معرض وصف

خصوبتها بقيامته ، وكانت مدة بقائه في العالم الأسفل (عالم الأموات) محددة بستة اشهر يقوم بعدها لتنزل اخته الالهة «گشتن - أنا (Gestin-anna) فتمضي الستة اشهر الباقية من العام في العالم الاسفل بدلاً عن اخيها ، ولكنني نبذت هذا الاعتقاد بعد ان وجدت نفسي بمواجهة عدة ادلة تنفي هذا الشكل لعبادة الالهين «تموز» واخيه «گشتن - أنا» ، وقد ادرجت تلك الادلة في رسالتي مع ابداء رأيي في الموضوع كله ، وواجهت معارضة شديدة اراها للاسف قد خرجت عن نطاق المناقشة العلمية في حين بقيت الادلة التي قدمتها كما هي من غير ان يتناولها النقاش ، ومنذ ذلك الحين وانا اتساءل عن السبب الكامن وراء هذا الاختلاف حول مسألة موت الاله «تموز» وبعثه ، حتى اقتنعت بأنه يرجع الى ان معظم الباحثين الذين درسوا تلك المسألة لم يبدوا عمقاً بدراسة شخصية الاله «تموز» وتحديد دوره الكامل في العقائد السومرية والاكادية واستجلاء اسس عبادته : اذ انه ليس في الامكان مناقشة مسألة موت الاله «تموز» وبعثه الا على ضوء عدد كاف وواضح من الأدلة والحجج المستندة على نتائج الدراسة الشاملة لشخصيته واسس عبادته ، وهو ما سنحاوله في هذا البحث الذي نعتبر النتائج المتخضعة عنه بداية حقيقية للدراسة المقبلة التي يدور موضوعها حول موت الاله «تموز» ومسألة بعثه من العالم الأسفل .

وهكذا نرى ان المطلوب قبل كل شيء تحديد الدور الحقيقي للاله «دموزي» (تموز) في العقائد السومرية والاكادية وتوضيح مسؤولياته ووظائفه فيها ودراسة مراحل تطور عبادته خلال الفترات المختلفة لحضارة وادي الرافدين القديمة . اما المنهج الذي سنتبعه هنا فيبتدىء بدراسة الآراء القائلة بان «تموز» هو اله الخصوبة في العراق القديم وتمحيص الادلة التي قدمها اصحاب تلك الآراء لتأييد ذلك وبالتالي بيان موقفنا منها ، ثم نحدد اله الخصوبة الرئيس والالهة المساعدة له في ضوء ما نملكه من ادلة وردت في النصوص المسارية ونوضح بعد ذلك علاقة الاله «تموز» باولئك الالهة ودوره الكامل بين سائر الهة العراق القديم ومن ثم نتطرق الى قصة زواجه من الآلهة «إنانا» (عشتار) والمغزى من ذلك الزواج والنتائج التي ادى اليها .

مضاجعته لنهر دجلة : «نهض بأبهة مثل نور هائج .. فاستسلمت دجلة له (كما لو انها استسلمت) لثور هائج»^(٢) .

٢ - الاله الشمس «اوتو» Utu الذي لقب في اسطورة «انكي وتنظيم الكون» بلقب الثور حيث يرد في الاسطورة عنه بأنه : «البطل ، الثور الذي مطلعته من غابة» «خاشر» (Khashr) وزئيره مثل الاسد «اوتو» الباسل الذي يقف بثبات ويستعرض قوته بجلال^(٣) .

٣ - الاله القمر «سين» وقد وردت الاشارة اليه في احد نصوص الأمير السومري «اي - انتم» بأنه : «سين الثور الفتي المغمم بالحيوية للاله انليل»^(٤) .

ونضيف الى هذه الآلهة «كلگامش» الذي لقب بالثور ايضاً حيث يخاطبه العفريت «خاوا» في النص السومري المعروف باسم «كلگامش وارض الأحياء» بأنه : «الثور المهتاج ، الثابت في المعركة»^(٥) .

كما انه وصف في الملحمة السامية بأنه «الثور الوحشي الجبار» [اللوح الاول - العمود الثاني : ٢٠] و ثانياً : والسبب الثاني الذي يجعلنا نرفض الرأي القائل بأن الاله «دموزي» كان الهاً للخصوبة بدليل انه حمل لقب «الثور» الذي يعتقد بأنه كان يرمز للخصوبة ، فهو ان الثور في العصور التاريخية في العراق القديم لم يكن رمزاً للخصوبة وانما كان مجرد رمز للباس والقوة العضلية التي هي اقرب الى التدمير منها الى الخصب ، كما هو واضح في «ملحمة كلگامش» حين تطلب «عشتار» من اله السماء «أنو» ان يخلق لها ثوراً مقدساً ليقول «كلگامش» بسبب اهانتها لها ، ولكن الاله «أنو» رفض ان يستجيب لطلبها بسبب علمه لما سوف يسببه هذا الثور من مجاعة تستمر سبع سنين^(٦) ، الا انه عدل عن رفضه حين اكدت له الالهة «عشتار» بانها قد خزنت ما يكفي من الغلال والعلف لهذه السنين العجاف ، وعندما تمكن «كلگامش» و «انكيو» من قتل الثور الساهوي زال خطر المجاعة عن اهل «اوروك» و

واضافة الى هذا لم يكن اعتبار الثور رمزاً للخصب والمجاعة مقتصرأ على النصوص المكتوبة وانما وجد تعبير له حتى في الفن كما ذهب اليه الاستاذ هنري فرانكفورت^(٧) فقد وجدت بعض الأختام الاسطوانية التي نقشت عليها رسوم توضح بأن الثور يرمز الى الجفاف باعتباره مشكلة كونية

وليس مجرد سلاح استخدم في الخلاف بين «عشتار» و«كلگامش»^(٨) .

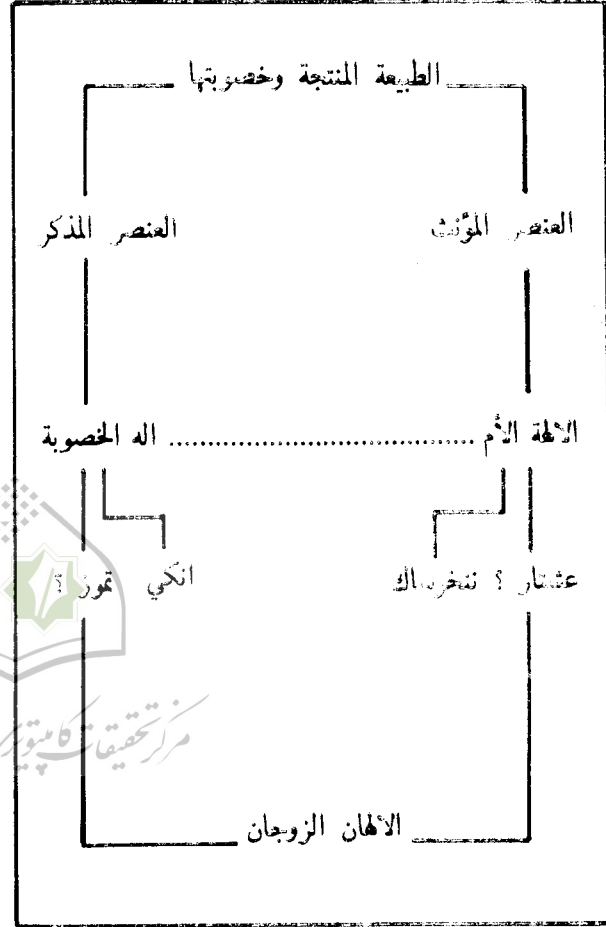
ويظهر على احد تلك الأختام اله يقوم بقتل الثور الذي يظهر خلفه في الطرف الآخر اله ثان يقف على تينين مجنح ويمسك بيده صولجاناً وسوطاً جلدياً ، وقد ظهرت في وسط المشهد الهة تستنزل المطر من السماء بيديها المرفوعتين في حين ان المطر بدأ فعلاً بالهطول^(٩) .

وهناك مشهد على ختم آخر يصور عملية قتل الثور ايضاً من قبل اله يحمل القوس والسهم^(١٠) ونذكر اخيراً ملاحظة مهمة وهي ان الثور كرمز في الفن كان خاصاً بالاله «ادد» الذي صور في بعض الاحيان وهو يقف عليه ويمسك بيده فأساً^(١١) .

وهكذا نرى ان اطلاق لقب الثور او الثور الوحشي على الاله «تموز» لا يمكن ان يعد دليلاً على انه كان اله الخصوبة ، فهو لقب لم يكن مقتصرأ عليه من جهة ولم يكن مجرد ذاته مقترناً بالخصوبة من جهة أخرى و

ان اغلب الباحثين الذين اشرنا لآرائهم قبل قليل تكونت عندهم قناعات خاصة بصحة ما يعتقدون به اعتماداً على ما يستدلون به من حقيقة كون الاله «دموزي» (تموز) زوجاً للالهة «انانا» (عشتار) ، ولما كان الاعتقاد الشائع بين معظم الباحثين ان هذه الالهة هي نفسها الآلهة الأم في العراق القديم ، فقد جعل الترابط المنطقي بين هاتين المسألتين طريقاً للاتهاء الى ان «تموز» هو اله الخصوبة بدليل انه زوج الالهة الأم ، ومن الواضح ان هذا الدليل الذي لم تسبق مناقشته بني على اساس الاعتقاد بأن «عشتار» هي الالهة الأم ، اننا بالطبع لا نختلف مع الرأي القائل بأن الآلهة الأم يجب ان تزوج من اله الخصوبة ، اذ ان تزواجهما يرمز الى اتحاد العنصر المؤنث في الطبيعة مع العنصر المذكر ، وهو اتحاد لا بد منه من اجل ضمان القدرات المنتجة والخصوبة والانجاب حيث لا يمكن لأحد هذين العنصرين ان ينجز تلك الفعاليات بمفرده ما لم يتكامل بالاتحاد مع العنصر الآخر ، وبما ان الالهة الأم تجسد العنصر المؤنث في الطبيعة واله الخصوبة يجسد العنصر المذكر فقد اصبح من البديهي ان يتزوجا تجسيداً لاتحاد عنصري الطبيعة لحفظ قدرتها المنتجة غير ان النقطة التي نتوقف لمناقشتها هنا هي بخصوص ذلك الترابط المنطقي الذي قاد الى اعتبار «تموز» الهاً للخصوبة ، لانها

الاساس الذي بني عليه هذا الاستنتاج وهو الاساس المتمثل بالاعتقاد بأن «عشتار» هي الالهة الأم ، فلو كان هذا الاعتقاد صحيحاً لكان من الطبيعي ان يعتبر «تموز» اله الخصوبة ، وذلك وفق تتابع يمكننا ان نوضحه بالتخطيط الآتي :



شكل رقم (١) ثنائي الالهين الزوجين : اله الخصوبة والالهة الام .

في الديانة العراقية القديمة اقتصر على كونها الهة للحب والعلاقات الجنسية والاشراف على بعض شؤون المرأة مثل الغزل ونسج الاقمشة وانتقاء الأزياء ، كما انها كانت تعتبر تجسيدا للمرأة في ثلاث مراحل من حياتها هي المراهقة والزواج والتمل ، اما الالهة الأم فقد كانت الهة اخرى لا علاقة لها «بعشتار» واقصد بها الالهة «ننخرساك» Ninkhursag التي عرفت بالقب متعددة مثل «مامح» او «نناح» «ننتو» ، «أرورو» ، و «مامي» او «ماما» ، وقد وضحت في ذلك البحث ان هذه الالهة كانت ذات مكانة خاصة في مجمع الالهة وانها كانت الالهة الانثى الوحيدة بين الالهة الارب الرئيسية او الخالقة : «أنو» Anu ، «انليل» Enlil ، «انكي» Enki او «أيا» Ea و «ننخرساك» ، كما انها هي التي قامت بخلق البشر وانجاب عدد من الالهة وفق ما ورد في عدد من الاساطير السومرية والاكادية ، ومن الواضح جداً انه كانت هناك علاقة وثيقة تربط ما بين هذه الالهة وبين الاله «انكي» (أيا) الذي اشترك معها في خلق البشر كما يتضح من بعض الاساطير العراقية القديمة ، وحتى انها اشتركا معاً في تجسيد الارض ، فالالهة «ننخرساك» تمثل الارض الأم المعطاء ، في حين ان «انكي» يمثل الارض حينما تكون منبعاً للمياه^(١٠) . ويؤكد هذا الاقتران بين مسؤوليتها الزواج الذي حدث بينها ، حيث تروي احدي الاساطير السومرية ، التي تجري احداثها في الفردوس الالهي السومري «دلون» (البحرين حالياً) ، بأن بأن الاله «انكي» تقدم بطلب يد الالهة «ننخرساك» التي وافقت بعد ان ابدت امتناعاً في اول الأمر ، وكان ثمره ذلك الزواج ابنتها الالهة «ننसार» Ninsar التي ترمز للنبات ، الا ان الاله «انكي» يهجر زوجته قبل ان تلد بطريقة يشبهها الاستاذ «ياكبسن» بانسحاب مياه الفيضان عن الارض قبل ظهور الحضرة^(١١) .

وعلى ضوء هذا فاننا نستطيع ان نصحح التخطيط الذي وضعناه عن تجسيد اتحاد العنصر المذكر والمؤنث في الطبيعة بزواج الالهة الام واله الخصوبة بأن نستبدل اسم «عشتار» بالالهة «ننخرساك» و «تموز» بالاله «انكي» وهكذا فإن الترابط المنطقي يقتضي ان يكون الأخير هو اله الخصوبة . على اننا يجب ان لا ننكثي بهذا الدليل ، وانما نبحث عن سند له في النصوص المسارية ومجمل عقائد سكان العراق القدماء من اجل ان تكتمل الصورة امامنا ، ومن

هذا هو الرأي السائد ، ولكننا اذا عرفنا ان «عشتار» لم تكن الالهة الام فن الواجب علينا ان نرفض الرأي المبني على هذا الاعتقاد الخاطيء والذي جعل من «تموز» الها للخصوبة في عقائد سكان العراق القدماء ، وبالفعل فأنني ارفض الرأي القائل بأن «عشتار» هي الالهة الام في العراق القديم ، وقد اوردت رأبي هذا في بحث نشر [المجلد ٣٤ من مجلة سومر^(*)] يدور موضوعه حول عبادة الالهة الام وعلاقتها بالالهة «انانا» (عشتار) في النصوص المسارية ، واتمهت فيه الى ان هذه الالهة (عشتار) لم تكن الالهة الأم ، وان دورها

اجل ان لا تحمل اراؤنا طابع الارتجال ، فلا نحن في عجالة من امرنا ولا الموضوع مستنفذ المناقشة ، وحسبنا ان نواصل تتبع كل الجوانب فيه ونقول هذا ما توصلنا اليه بسند بعضه بعضاً ، فليس من الموضوعية بشيء ان نبسط الأمور ونجنّبها - عجزاً او كسلأ - ما لزم لتبيان صحتها من ادلة ، فلنبحث في النصوص المسارية ناشدين ما يؤكد توجهنا نحو الصواب في قولنا بأن «انكي» هو اله الخصوبة ، ولنستمد من تلك النصوص ما يوضح لنا كيفية ادارة ذاك الاله لمسؤولياته التي هي اخطر ما يواجهه الانسان بعد التكوين والخلق . وبدءاً ينبغي ان ندرس بامعان مكانة الاله «انكي» بين الآلهة الرئيسة او الخالفة الاربع (أنو ، انليل ، انكي ، ونخرساگ) التي تأتي على رأس مجمع آلهة العراق القديم ، فنحن بعد ان وضحنا قبل قليل علاقة الاله «انكي» بالآلهة الأم «نخرساگ» نأتي الآن على توضيح علاقته بالآلهين الآخرين «أنو» اله السماء و«انليل» اله الهواء ، اما الاول فهو في منأى عن الأحداث ومكانته كانت مرتفعة وازدادت ارتفاعاً حتى قربت من درجة التلاشي والبعد عن التأثير في مقومات الحياة الكونية واليومية واحداثها ، فهو على وجه العموم اله السماء الساكنة ، البعيد ببعدها ، وبالتالي فليس ثمة داع لتوقعه لوجود علاقة مؤثرة بينه وبين الاله «انكي» ، وبأستثناء «أنو» يكون «انليل» هو الرئيس الفعلي لمجمع الآلهة وهو كبيرهم واهمهم ويأتي ترتيبه قبل الآلهين «انكي» و«نخرساگ» ، والذي يهنا هو من تحديد العلاقة بين «انليل» و«انكي» هو معرفة سلطات ومسؤوليات كل منها ، تلك المسؤوليات التي تبدو بشكل عام متوزعة بينها بتوافق يستلزم بعض التفصيل ٤

ان الذي نعرفه عن «انليل» انه كان الاله الاكثر اهمية من بين سائر الآلهة في العراق القديم ، له دور كبير في الشعائر والاساطير والنصوص الدينية التي كان يصور من خلالها بأنه صاحب الفضل الاول في خلق وتوجيه اكثر الظواهر الكونية خطورة في الانتاج ، وهو الذي خطط لانتاج البنور والنباتات والاشجار من الارض ، وحقق الازدهار والرخاء للبلاد وصمم الفأس والمحراث ليستخدمها الانسان^(٣) .

وقد ورد في احدي الترانيم بأنه لولا الاله «انليل» لما شيدت الزرائب وما اقيمت الحظائر او طفحت الانهار

بفيضها ، وحتى لما امكن للاسماك ان تضع بيوضها او تربي الطيور اعشاشها او تمطر السماء ، وهو الذي نمت بفضلها النباتات والاعشاب وانتجت الغلة واعطت الاشجار ثمارها^(٤) ، وينبغي ان نلفت النظر الى ان هذا الدور للاله «انليل» لم يكن يعني انجازة الفعلي لكل ما نسب اليه وانما كان المقصود منه كما يقول الاستاذ كريم^(٥) بانه لم يتم الا بتقرير ذلك ووضع الخطط العامة له اما التفاصيل الفعلية وانجازها فقد كانت مسؤولية الاله «انكي» الحكيم البارح الذي نفذ كل تلك المقررات بالطريقة التي وصفها الاسطورة السومرية «انكي وتنظيم الكون» والتي ورد فيها ان الاله «انكي» قدر مصائر بلاد سومر كلها وبارك ما دب عليها من اسراب وقطعان وانعم على مدنها بالرخاء وعلى المناطق الصديقة مثل «ملوخا» و«دملون» (البحرين حالياً) بالاشجار والقصب والثيران والطيور والذهب والقصدير والبرونز وافقر البلدان المعادية مثل «عيلام» و«مرخاشي» (Markhashi) ومنح الماشية هدية لقوم الـ «مارتو» البدو ثم تحول لينجز العديد من الاعمال المهمة مثل تمكين خصوبة الارض وزيادة قدرتها على الانتاج ووفر لها المياه العذبة وسوى ذلك من متطلبات الخصوبة^(٦) ولعل اخطر ما تتعرض اليه هذه الاسطورة يتمثل في قيام الاله «انكي» بتوزيع المسؤوليات على الآله بشكل ينسجم مع ما نعرفه عنهم وعن واجباتهم من النصوص الاخرى ، ونخص بالذكر هنا تلك المسؤوليات التي تتعلق بشؤون الخصوبة والانتاج ، والتي نلاحظ في توزيعها امراً مهماً جداً ان عناصرها لم تحصر كلها بيد الاله «انكي» المسؤول الأول عنها وانما قسمت بين عدد من الآلهة يشرف كل واحد منهم اشرافاً مباشراً على عنصر من عناصرها ، وذلك على الشكل الآتي :

١ - نهرا دجلة والفرات وما يتصل بهما من ماء عذب لا بد منه في أية عملية انتاجية في الأرض جعلها «انكي» بعهدته الأله «انليلولو» Enbilulu ونشير هنا الى ان اسم هذا الآله استخدم ايضاً كلقب لكل من الآلهين «مردوخ» و«أدد»^(٧) .

٢ - مياه الأمطار العذبة وسحاباتها والرياح التي تجلبها ، قام «انكي» بتسليم مسؤولية الأشراف عليها الى الاله «يشكر» ٤

٣ - اختار الاله «انكي» الآلهة «اشنان» (Ashnan) لتكون

مسؤولة عن الحقول والغلال وبيادرها المقدسة ٤
٤ - وهناك الاله «سموگان» Sumugan الذي اختاره «انكي»
ليكون مسؤولاً عن الجبال وما ينتج فيها من نباتات
وماشية ، والجدير بالذكر هنا ان هذا الاله قد وصف في
النصوص المسارية بأنه المعجل بالحضرة وانه مكثّر
القطعان^(٣١) .

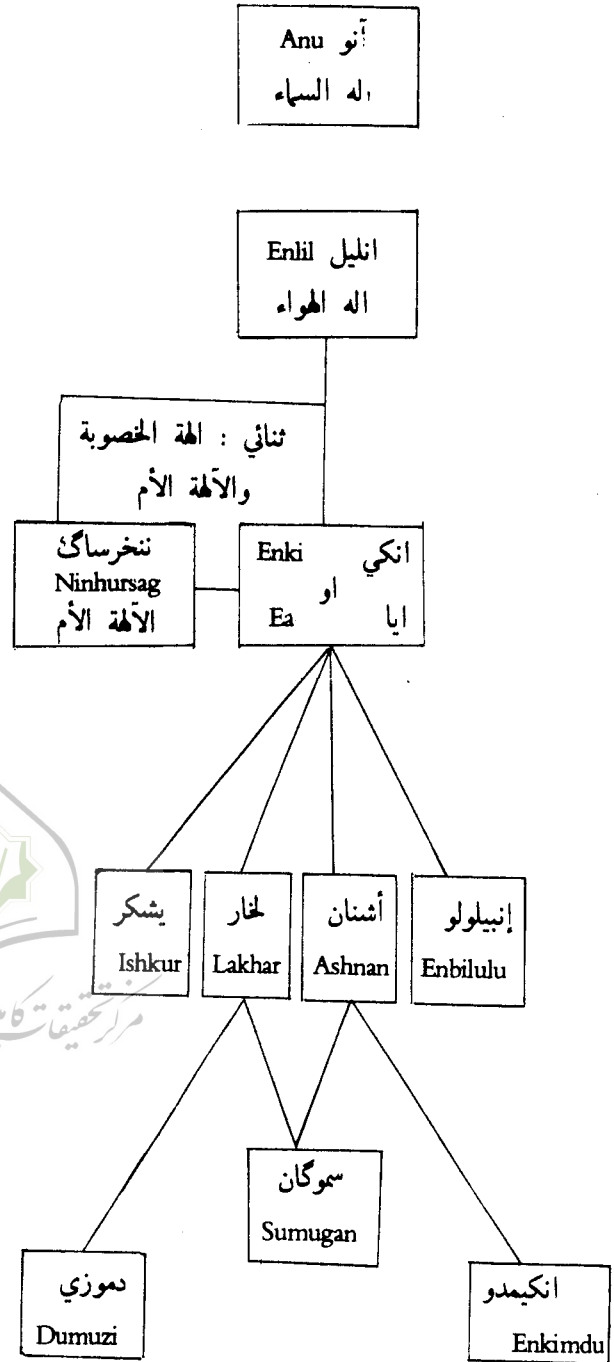
٥ - ونضيف استناداً الى نص سومري آخر ، يدخل ضمن
ادب المناظرة - بأن هناك الهة اخرى يمكن ضمها الى
اولئك الآلهة وكانت مسؤولة عن الماشية والاعنام
وحثاثرها ومنتجاتها وهي الآلهة «لخار» (Lakhhar)^(٣٢) .

٦ - في ما يخص الحقول والغلال التي جعلت الهتها «اشنان»
والماشية وحظاثرها التي جعلت الهتها «لخار» ، نجد ان
هاتين الالهتين اللتين كانتا تنفذان ارادة الاله «انكي»
بمسؤوليتها تجسدان القوى المنتجة الكامنة في الحقول
والحظائر ، تلك القوى الكونية التي تضمن استمرار
قدراتها ، ولما كانت رعاية تلك الحقول والحظائر تحتاج ،
بالاضافة الى القوى التي تضمنها وتدير شؤونها ، الى
وجود قوى مساعدة عاملة فيها ضمن الاطار اليومي
الضيق الذي لا يمتد الى ما وراء افق الظواهر الحياتية
فقد اصبح من الطبيعي ان ينزل اليها الهان يتفاعلان مع
ما تجسده تلك القوى وينوبان عنها في الكدح اليومي ،
ولذا فقد اختار الاله «انكي» الاله «انكىمدو» (Enkimdu)
ليكون الهاً - فلاحاً وسلمه المهرات والقدان
والثور بعد ان هياً له كل شيء في الحقل كما تذكر
الاسطورة اذ انه فتح القنوات وجعل الغلال تنمو في
الحقل ، كما انه اختار في نفس الوقت الاله «دموزي»
ليكون الهاً - راعياً يشرف على الحظائر التي اقامها الاله
«انكي» نفسه ، ويرعى القطعان بعد ان وفر الاله
«انكي» السمن والحليب الجيدين فيها وهياً لها المراعي كما
ورد في نفس الاسطورة ، ومن كل ذلك اصبح بإمكاننا
القول بأن الالهين «انكىمدو» و«دموزي» لم يكن اي منها
هو الذي هياً الحقول وغظاها بالغلال او اقام الحظائر

ووفر في قطعانها الانتاج الغزير ، كما انها لم يكونا كفيلاين
باستمرار القدرة على ذلك كله ، وانما كان يقوم بهذين
الدورين الخطيرين في الحقول والحظائر كل من الالهتين
«اشنان» و«لخار» اللتين كانتا تقومان بدورهما بمساهمة
قوى اخرى تنجسد بالالهين «انيلولو» و«يشكر» بالدرجة
الاولى ، ووراء كل هؤلاء يقف اله الخصوبة الرئيس
«انكي» ممثلاً لمجموع الآلهة الاربع الرئيسة الخالقة ، اما
الاله «انكىمدو» و«دموزي» فلم يكونا اكثر من الهين
عاملين لا يجسدان قوى من الطبيعة ولكنها ينضويان تحت
الضمانات التي تمثلها الآلهة المجسدة للقوى الكبرى ، وانما
بالتالي لا يمكن لنا ان نتوقع من اختفائها او موتها اثر
خطير على حالة الحقول وغلاتها او على الحظائر وقطعانها
لأن هذا الاثر لا يحصل الا اذا تعرضت القوى
الرئيسة - التي حددناها قبل قليل - المتمهدة بذلك الى
مثل تلك المخاطر بصورة مباشرة ، وهذا فنحن نختلف مع
الاستاذ «كرير» في رأيه القائل بأن موت الاله «دموزي»
يجب ان يؤثر على الحياة في الحظيرة وقطعان الماشية وانما
يجب ان نتوقع بالمناظرة مع ذلك اكتشاف اسطورة سومرية
في المستقبل تتضمن موت «انكىمدو» لتبرير ذبول الخضار
خلال فصل الصيف الحار نظراً لأن الاخير كان مكلفاً
واجب الخصوبة وحياة النبات وفق رأي الاستاذ
كرير^(٣٣) ، ونرى انه حري بنا الانتباه الى مسألة جوهرية
في الموضوع وهي ان موت اي من الالهين المذكورين لا
يمكن ان يؤثر في الطبيعة بهذا الشكل ، اذ ان الاله
«دموزي» لم يكن هو الذي اقام الحظائر ووفر فيها المنتج
وانما كان الاله «انكي» هو الذي فعل ذلك ، كما انه لم
يكن مكلفاً بضمان خصوبة الانتاج فيها وحفظ غزارتها
وانما تلك هي مسؤولية الآلهة «لخار» اما «انكىمدو» فلم
يكن يعتقد انه الاله الذي هياً الحقول وشق فيها
القنوات وانما تم ذلك بفعل الاله «انكي» كما انه لم يكن
مسؤولاً عن ضمان خصوبتها وانتاج اكداس الغلال منها
وانما كانت هذه مسؤولية الآلهة «اشنان» . والان وبعد
هذه التوضيحات اصبح بإمكاننا ان نضع تخطيطاً يوضح
مسؤوليات الآلهة في ما يخص شؤون الخصوبة بدءاً من
الآلهة الاربع الرئيسة ، مع التركيز على دور الاله
«انكي» والآلهة المساعدة له بالشكل الآتي :

ان هذا التخطيط يوضح لنا ثلاثة أمور مهمة هي :
أولاً :

ان مسؤولية الخصوبة في عقائد حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة لم تكن مقتصرة على اله واحد فقط ، اذ لم يكن ذلك مستساغاً بسبب الخطر الكبير الذي يمكن ان تتعرض له قوى الخصوبة في الطبيعة مما يؤدي بالتالي الى تهديد لوجود سائر المخلوقات الحية على الارض فيما لو احاق الخطر بالاله الوحيد المسؤول عنها ، وهناك بالطبع الكثير من المخاطر التي نعرف من النصوص المساهية انها كانت تحيق بالآلهة ، ومن تلك المخاطر الحروب والنزاعات فيما بينها على سبيل المثال ، وكان من الطبيعي ان يفكر سكان العراق القدماء بأن حصر قوى الخصب في كل الطبيعة بيد اله واحد امر يفوق امكانية اي اله من اهتمام ، فخصوبة الطبيعة مسؤولية كبيرة ومتعددة الجوانب ولا يمكن توقع نتاجها الوفير الا بتفاعل عدة آلهة يجسد كل واحد منها قوة او عنصر من عناصر الخصوبة والانتاج الطبيعيين ويعود امرهم جميعاً الى اله رئيس يشرف عليهم ويوزع المسؤوليات بينهم ويوجههم ويكون قريناً كفوّاً للآلهة الام وذلك هو «انكي» ٢



وهناك ظاهرة بارزة في التخطيط الذي وضعناه ينبغي بنا التوقف عندها قليلاً تلك هي عدم وجود علاقة وثيقة للآلهة الام «ننخرساگ» بشؤون الخصوبة التي يشرف عليها الاله «انكي» ، ونحن نرجع السبب في ذلك الى ان تطور الافكار الخاصة بالخصوبة عند سكان العراق القدماء ادى الى ان تنفصل مسؤوليات الآلهة الأم عن اله الخصوبة ، فاصبحت الآلهة الأم تشرف على شؤون الخلق والتوالد عند البشر وحتى الآلهة ، واضحت من بعد انجازها لعمليات الخلق «سيدة الولادة» Nin-tu(d) كما نعتت في النصوص المساهية ، اما اله الخصوبة فقد استمر كما وضعنا قبل قليل في الاشراف على شؤون خصوبة الطبيعة ووفرة انتاجها وغزارة نباتاتها وتكاثر حيواناتها ، ونرى في هذا الانفصال واقعية فذة ، اذ ان اختلاف خصوبة الطبيعة وتغيرها وما يطرأ على القوى المحركة او الممكنة لها لا يمكن ان يؤثر على توالد البشر التي هي كما نعرف عملية تجري بمعزل عن خصب

انبيلولو : دجلة والفرات وروافدهما

أشنان : الحقول والغلة وبيادر الحبوب .

يشكر : الامطار والغيوم والرياح التي تجلبها .

لخار : الاغنام والحظائر ومنتجاتها

سموگان : خصوبة الجبال .

انكىمدو : رعاية الحقول (الاله الفلاح)

دموزي : الرعي وتنظيم الحظائر (الاله الراعي)

شكل رقم (٢) : تخطيط يوضح توزيع مسؤوليات

الخصوبة بين الآلهة وعلاقة تلك الآلهة بعضها ببعض

الآخر .

الطبيعة ، ولا تخضع لمواسمها ، ونتيجة لذلك اصبح من الطبيعي ان لا تستمر العلاقة الزوجية بين الالهين «انكي» و «نخرساگ» بعد ان آتت غمارها ، فانفصمت عرى زواج هذين الالهين ، بالطريقة التي سبق وصفها ، دون ان يترك انفصالها اثرأ يذكر على الطبيعة وقدراتها ، واستمر كل منها يؤدي واجباته دون الأخلال بقدرات الآخر وواجباته ، وان كان يحدث بين ذانك الالهين بعض الخلاف والتنافس احياناً ، ولكن ذلك لم يؤد الى نتائج مهمة تذكر . ان هذا الانفصال في اداء المسؤوليات بين الالهة الأم من جهة واله الخصوبة والآلهة المساعدة له من جهة اخرى . اقتضى ان يدخل العنصر الأنثوي بأي شكل كان في التشكيل الالهي المساعد لأله الخصوبة «انكي» ، فهو العنصر الذي لا يمكن ان يتم انتاج الطبيعة دون مساهمته ، وهكذا تم تمثيل هذا العنصر بالالهتين «أشنان» و «لخار» لتتكامل عناصر الانتاج في الوهية الخصوبة ٤

ثالثاً :

والملاحظة الأخيرة التي يمكن ادراجها هنا بخصوص التخطيط الذي وضعناه استناداً الى ما ورد في النصوص المسامرية عن الآلهة وادوارها ، تتمثل في ان تشكيل آلهة الخصوبة قد اتخذ شكلاً هرمياً يأتي الاله «انكي» في ذروته بوحى من الاله الرئيس «انليل» ثم تأتي القوى الاربع الرئيسة في ذلك بتشكيل على مستوى افقي واحد وبجسدها كل من الآلهة : انليلو ، اشنان ، لخار ، ويشكر ، وهناك اسفل هذا المستوى الاله «موگان» الذي يجمع بعضاً من مسؤوليات كل من الالهتين «اشنان» و «لخار» ولكن قدراته تقتصر على الجبال فقط ، وعند قاعدة هذا التشكيل الهرمي يأتي الالهين المختصين بالأجراءات الثانوية فقط وهما «انكي» و «دموزي» ، فالاول منها يعمل في الحقل مستثمراً الفعالية التي تتيحها الالهة «أشنان» له ، والثاني (اي «دموزي») يعمل وفق ما تتيحه الالهة «لخار» من قابلية انتاجية في القطعان ٤

والآن بعد ان تحدثنا عن موضوع الوهية الخصوبة وحددنا الهها بشخصية الاله «انكي» ووضحنا دور الآلهة التي تتبعه وتساعد في ادارة شؤونها وتهيئنا الى تحديد المكانة الحقيقية للاله «دموزي» بين آلهة الخصوبة ووضحنا

ثانويتها واثبتنا عدم صحة الرأي القائل بأنه كان اله الخصوبة في عقائد سكان العراق القدماء ، لا بد لنا من ان نلقي الضوء على كل دورة في تلك العقائد ونورد ما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه من آراء بشأنه .

دور الاله «دموزي» (تموز) في عقائد سكان العراق القدماء :

ان ما ذكرناه عن الدور المحدد للالهين «انكي» و «دموزي» يتفق مع ما ورد في بعض النصوص ولا سيما تلك التي تتعلق بموضوعها بخطوبة الالهة «انانا» وزواجها من الاله «دموزي»^(١٩) . وتنافس هذين الآلهين على طلب يدها ، وخلاصة اوجه هذا الاتفاق يمكن اجمالها في النقطتين الآتيتين :

١ - ان مكانة الالهين «انكي» و «دموزي» على درجة واحدة فعلاً بغض النظر عن موقع هذه الدرجة بالنسبة لباقي الآلهة ، والدليل على ذلك يتأتى من ملاحظتين ، الاولى تبدو في تردد «انانا» في قبول اي منها حين تقدا يطلبان يدها ، اذ انها اختارت «انكي» في بادئ الأمر الا انها قبلت في آخر الأمر ب «دموزي» والملاحظة الثانية تتجلى واضحة حين يعدد «دموزي» كل ما يمكن لاحدهما تقديمه ، فكل شيء يستطيع احدهما ان يوفره بإمكان الثاني ان يوفر ما يقابله او كما يشير هو نفسه بان الطحين الاسود والطحين الابيض والجمعة بانواعها المختلفة وبعض الخضر والخبز الجيد التي يمكن ل «انكي» ان يقدمها يستطيع هو ان يقابلها بالنعجة السوداء والنعجة البيضاء والحليب باصنافه المختلفة والجبن المتنوع الاصناف ، وهكذا يبدو واضحاً ان قدرتها وبالتالي دورها على درجة واحدة كما وضعنا في حينه ٤

٢ - ان تباري هذين الالهين في التباهي حين تنافسها على خطوبة «انانا» بمقدرتها اللتين تحددان بما يمكن للحقل والحظيرة ان ينتجانه ، بتأثير القوى الالهية المسؤولة عنها بالطبع ، واقتصار تباريها في هذا المجال فقط يؤيد ما ذهبنا اليه من تقدير لمكانتها وتحديد لعلاقتها مع باقي الآلهة المسؤولة عن الخصوبة الطبيعية ، اذ لم يستطع اي منها ان يذهب في تنافسه مع الآخر الى ابعد من التباهي والتشاجر ، دون ان يكون لذلك اي اثر في الطبيعة كما

يتضح من النصوص الخاصة بالموضوع .

والآن لنأت على تحديد نور الاله «دموزي» في سجل عقائد سكان العراق القدماء . ان بإمكاننا تقسيم النصوص المسارية الخاصة بهذا الاله حسب مواضيعها الى ثلاثة مجموعات يعرض فيها «دموزي» بثلاثة مظاهر ، هي :

١ - الاله - الراعي .

٢ - حبيب الالهة «انانا» وخطيبها وزوجها مما بعد .

٣ - اله من آلهة العالم الأسفل (عالم الأموات) .

لقد تحدثنا آنفاً عن المظهر الأول ولم يبق لدينا شيء نضيفه سوى الإشارة الى ما عرفناه به الاله «دموزي» من القاب تؤيد كونه الهاً - راعياً ، ومنها «الراعي» (ra'i) «راعي الارض» (ra'i sha irsiti) و «سيد مأوى الراعي» (shubat feu) اما بالنسبة للمظهرين الآخرين فقد جعلنا كلا منها مدار مدار بحثنا في الموضوعين التاليين

«دموزي» حبيب الالهة «انانا» وزوجها .

كان الاله «دموزي» يمثل الفتي الراعي الشاب ، الذي وقع في غرام الالهة «انانا» وفق الفكر السومري ، وهذا في الوقت الحاضر اربع قصص عن زواج الاله «دموزي» من «انانا» نستمد معلوماتنا عنها جميعاً من النصوص السومرية وهذه القصص وان اختلفت في تفاصيلها الا انها تتفق في الموضوع الرئيس لها وهو زواج الاهلين من بعضهم . ونعرض هنا القصص بصورة مختصرة كما يأتي :

١ - القصة الاولى : وتتكون من مقطعين يصف الاول منها اول لقاء الاطير ، ويسمونه الحب بينها ، ولكن «انانا» تبدي خوفها من احتمال انفضاح امر هذا الحب ومعرفة امها «ننگال» (ningal) به ، فيبأ لها «دموزي» عنراً لتخدع به امها وذلك بان تخبرها بانها قضت الوقت مع صديقتها في ميدان المدينة الرئيس ، فتوافق على ذلك ويكتان معاً يتعاطيان الغرام في ضوء القمر ، اما المقطع الثاني فتظهر فيه فرحة الالهة «انانا» الكبيرة بعد ان اسرها «دموزي» بعزمه على الكلام مع امها حول مسألة خطوبتها على ما يفترض ، وتختتم القصيدة عبارات اعجاب توجهها «انانا» الى زوجها المقبل^(٣) .

٢ - اما القصة الثانية عن زواج الاهلين «دموزي» و «انانا» فتد في قصيدة سومرية ، ولعلها تتعلق بفترة خطوبتها اذ

نفهم منها بأن «دموزي» كان بإمكانه لقاء «انانا» في بيتها ، وبإقامة امها التي عرضت على ان تتراه ابنها اثرأ طيباً في نفس خطيبها ، فكان ان نصحتها بالترين والظهور بظهر لانق امام «دموزي» الذي ما ان طسرق الباب حتى فتعته «انانا» له وتعانقا بقبيلة^(٤) .

٣ - وفي قصيدة سومرية أخرى نجد ما يشير الى حرص «انانا» على اخذ موافقة امها على علاقتها ب «دموزي» وتمت له برسهول ليفاتحه بهذا الشأن قبل ان تختلي بحبيبها في «سيد» (اي - انا) في الوركاه ، وتظهر الالهة هنا وهي في تمام عالم الالهة ب «دموزي»^(٥) .

٤ - وأخيراً تشير الى قصيدة سومرية سبق الحديث عنها ويدور موضوعها حول التنافس على طلب يد الالهة «انانا» بين الاله الصالح «انكيمنو» والاله - الراعي «دموزي» ، وقد كانت «انانا» في رادي الأخر تفضل الاول بالرغم من الجهود التي بذها معها اخوها الاله - الشمس «اوتو» الذي تظن لصالح «دموزي» ، وبعد لأي غيرت موقفها وقبلت بالزواج من «دموزي» وتروي هذه القصيدة انه كانت ان تترك «دموزي» بين كل من «دموزي» و «انكيمنو» لولا الموقف المرن الذي اتخذه الأخير حتى تمكن من تهديته «دموزي»^(٦) بعد ان طمئنته بألتحابه النهائي من التطلع الى الزواج من «انانا» .

والآن نتساءل : ما هو المغزى من زواج الاهلين «انانا» و «دموزي» ؟ ان طريقتنا للإجابة على هذا التساؤل يمر بتصويرنا للسبب الذي جعل منظري الفكر والديانة السومريين يختارون الاله - الراعي «دموزي» ليكون زوجاً لالهة الحب والعلاقات الجنسية «انانا» وبالطبع فنحن لا نعول على التبرير الاسطوري لهذا الزواج كما ورد في القصة الرابعة من القصص التي ذكرناها عن زواج ذينك الاهلين ، حيث تشير تلك القصة الى ان زواجهما قد تم بتدخل الاله - الشمس «اوتو» Utu اخ الالهة «انانا» ، ولكننا سنحاول تفسير ذلك الزواج على ضوء ما يجسده كل من الاهلين «دموزي» و «انانا» بالخطوات الآتية :

أولاً :

ان «انانا» باعتبارها الهة الحب والعلاقات الجنسية ، كان لا بد لها ان تقع في الحب الذي يجب ان لا يكون اقل من حب صادق مؤداه الزواج ، وحينها يكون هذا الزواج المنفذ

الوحيد لها كائناً لأشباع رغباتها الجنسية وشهواتها دون الخروج عن القيم التي عرفها مجتمع حضارة وادي الرافدين القديمة ، وبصفتها الهة للعلاقات الجنسية كان من اللازم ضمان استمرار تلبية حاجاتها الجنسية بزواج له القدرة على ذلك .
ثانياً :

في اي حضارة يمثل الراعي النموذجاً للرجل الذي انسحب من تعقيد الحياة المدنية وما تسببه متطلباتها اليومية من اشغال واستنزاف لحيوية الفرد ، فاذا اضفنا لذلك نمط حياته في احضان الطبيعة لا يشغله هم المدينة ولا تثيره مطابخها وكذلك طبيعة غذائه المنتج من قطعان ، وهو غذاء يحتوي على سرعات حرارية عالية تؤدي الى خزن طاقة فائقة في بدنه لا تحتاج معرفتها الى تقدم كبير في العلم ، اذ عرفته المجتمعات القديمة عن طريق الملاحظة المباشرة ، ولا نحتاج لأن ندلل على ذلك بأمثلة من بلاد الاغريق واساطير حضارتهم القديمة مثلا ، ونحن ننتهي من كل هذا الى القول بأن الراعي كان تجسيدا للفحولة النقية التي تخزن الحيوية النشيطة والطاقة الجسدية المتفجرة ، ولو اننا وضعنا كل هذه البدييات امامنا وفكرنا بما تحتاج اليه «انانا» الهة الحب والعلاقات الجنسية من فائقة على تلبية رغباتها الجنسية من قبل ازواج الذين سبوا به - كما وضعنا في الفقرة السابقة - ، لوجد انه من الطبيعي ان يقع اختيار السومريين على الاله - الراعي «دموزي» ليكون زوجاً لها ، وهو الذي كانوا ينظرون اليه على انه الفتى القوي والثور الوحشي (وينبغي ان نؤكد هنا ثانية على ما قصد بهذا اللقب من معاني القوة والحيوية كما ذهبنا في تفسيره آنفاً) ، وهكذا اصبح الدور المقدس للاله - الراعي «دموزي» هو ان يكون الزوج الذي يلبي الرغبات الجنسية لألهة الجنس «انانا» ، ولا شيء غير ذلك وراء زواجه منها ، وهذا امر لم يدع اكثر منه حتى الاله «دموزي» نفسه حين لم يجد ما يقوله للحكيمة «بيليلي» Belili ، اثناء لجوئه اليها عند هروبه من شياطين الـ «كالا» التي تطارده ، سوى بأنه زوج الهة في تعريفه بنفسه لها وذلك في الرواية السومرية لاسطورة «نزول انانا الى العالم الاسفل»⁽³⁾ ، وبالفعل لم تكن له في الديانة السومرية من اهمية تذكر اكبر من تلك حتى ذلك الحين الذي تتحدث عن الاسطورة فهو لم يكن قبل زواجه من «انانا» اكثر من اله -

راعي لا خطورة له كما يتضح من مخاطبتها له اثناء احدي المشادات بينها ، اذ انها تعلن بانه لم يكن له شأن قبل الزواج منها ، وقد وردت هذه المشادة في قصيدة سومرية نشرت في السنوات الاخيرة . وفيها تتفاخر «انانا» بنسبها الرفيع وتنتقص من مكانة «دموزي» بسبب عدم انحدره من نسل يضاهاي النسل الذي انحدرت منه ، وتبين سموها عليه بقولها بأنه لولا امها الآلهة «ننگال» Ningal واختها «سيدة القصب المقدسة» وابوها الاله - القمر «سين» لظل هو (اي «دموزي») متشرداً في الدروب والسهول لا يمتلك حتى غطاءً على رأسه⁽⁴⁾ .

ومن الادلة الأخرى التي تؤيد ارتباط مكانة «دموزي» بزواجه نذكر القول المأثور عن الالهة «انانا» بخصوصه ، اذ ورد على لسانها :

((اجلت نظري بين كل الناس ،
فاسميت ((دموزي)) لألوهية البلاد ،
((دموزي)) ، محبوب ((انليل)) ،
امي تعزه
ابي يعليه ..))⁽⁵⁾

والمغزى الذي نعتقد بأن الالهة «انانا» قد قصدته من كلامها هذا ، يتمثل في ما ذهبنا اليه من ان «دموزي» لم يكن له شأن خطير ومتميز حتى قبلته هي زوجاً لها ، وبهذا يختلف مع تفسير الاستاذ «كريم» لمغزى هذا القول باعتباره اشارة الى ان «دموزي» كان بشراً بالاصل حتى زواجه من «انانا»⁽⁶⁾ ، وعلى العموم فنحن لا نظن ان الالهة «انانا» كانت مبالغة بارجاعها سبب المكانة التي كانت لـ «دموزي» الى زواجها منه ، ودليلنا على هذا هو انه لم يكن في العراق القديم اي معبد مخصص له سوى معابد زوجته التي اصبح يشاركها فيها⁽⁷⁾ بعد زواجه منها بالطبع .

واما في النصوص الكتابية فقد وردت اشارة واحدة فقط عن بناية معبد مخصص له في «اور» وذلك في نص يعود الى «ريم - سين» احد ملوك سلالة اور الثالثة الا ان هذه الاشارة تمثل استثناء اقدم عليه هذا الحاكم كما يرى الاستاذ «هنري فرانكفورت»⁽⁸⁾ وذلك بدافع سياسي على ما نظن .

ثالثاً :

بعد ان وضعنا في الفقرة الاولى ان تلبية رغبات الالهة «انانا» الجنسية كانت تستلزم زوجاً ذا مقدرة جسدية تفصح

عن طاقة فائقة وبعد ان بينا في الفقرة الثانية بأنه لم يكن اصلياً لذلك من الاله - الراعي «دموزي» الذي تزوجها فعلاً واستمد مكانة مهمة له من هذا الزواج ، تأتي في هذه الفقرة على شرح مصير هذا الزواج .

من الطبيعي ان لا يستطيع الاله «دموزي» الاستمرار طويلاً في الاحتفاظ بقدرته على اشباع الشهوات الجنسية المتزايدة لزوجه ، فإذ كان يخفى على سكان العراق القدماء ان الطاقة الجنسية ليست دائمة ، وما كان من الغريب ان يجد «دموزي» نفسه على غير قدرة تمكنه من مواصلة تلبية رغبات زوجته بالحيوية التي ترغبها ، وهي الالهة الشبقية الشهوانية . وعند هذا الحد بدأ حبها لزوجها بالتلاشي وبدأت تحق عليه وتشعر بالازدراء نحوه ، بالطريقة التي وضحتها الاسطورة المشار اليها في الفقرة السابقة ، وتكمن وراء كل ذلك مشاعر مضطربة من خيبة الأمل وهيجان الشهوات التي لا تجد متنفساً لها والموانع الشرعي - المتمثل بزوجها «دموزي» - موجود ، والى هذه المرحلة من زواجها نرجع نزولها الى العالم الاسفل الذي ترويها الاسطورة السومرية «نزول اناثا الى العالم الاسفل» لتنفس عما يغتلي بذنها من افكار بالانشغال بالسيطرة على ذلك العالم ، ولكنها حين استطاعت الخروج منه - بالطريقة التي توضحها الاسطورة - رأت ان في خروج شياطين العالم الاسفل معها ليأخذوا البديل عنها خير وسيلة للتخلص من «دموزي» وبذلك يخلوها الجو لتعشق من تشاء وتمارس الجنس مع من تشاء ، والمبرر لها انها الارملة التي لا تخشى فقد شيء ، والتي تحتاج الى تلبية رغباتها الجنسية بأية طريقة كانت لأن ذلك جزء من واجباتها الالهية باعتبارها الهة للعلاقات الجنسية ، واستمرت «اناثا» بهذه الصورة حتى الفترات المتأخرة من الحضارة العراقية القديمة ، ووضح دليل عليها ما ورد على لسان «كلگامش» في الملحمة حيث انه وصفها وصفاً قاسياً وعدد عشاقها الذين ما ان تشبع رغباتها من احدهم حتى تكون قد تحولت الى آخر . فلما جاء اليوم الذي اثار فيه «كلگامش» شهواتها حتى عرضت عليه الوصال ولكنه ردها بهذا الرد القاسي .

وخلاصة القول ان زواج الالهين «دموزي» و «اناثا» كان مقدراً له مسبقاً ان لا يدوم لأن الاسس التي بني عليها لا يمكن ان تكون مقبولة على الدوام ، وبالطبع لم يكن متوقفاً لأنهييار هذا الزواج واقتراق الالهين ان يكون ذا اثر خطير في

الطبيعة نتيجة للدور المحد الذي وصفناه للاله «دموزي» في الطبيعة ، اما بالنسبة للالهة «اناثا» فانها كانت قادرة على ممارسة مسؤولياتها طالما كان بإمكانها اشباع رغباتها الجنسية وهي متمتعة بالحيوية ، ولم يكن يحدث اختلال في ادائها لواجباتها بدرجة تؤثر في الطبيعة (اي على العلاقات الجنسية كما وضعنا سابقاً) الا حين اختفائها واسرها في العالم الاسفل كما يتضح من الرواية الآشورية لنزولها الى ذلك العالم .

والآن بعد ان تكلمنا عن المظهرين الاول والثاني للاله «دموزي» ، ووضحنا انه كان في البدء الها - راعياً ثم اصبح زوجاً للالهة «اناثا» ، تأتي على شرح المظهر الثالث .

«دموزي» احد آلهة العالم الاسفل :

لقد وضعنا في ما سبق ان الاله «دموزي» بمظهره الاولين لم يكن متميزاً بمكانة خاصة به ، فهو باعتباره الها راعياً لم يكن سوى مشرفاً على الاغنام وحظيرتها التي كانت الهتها الأصلية «الحار» ، ودوره هنا كان ثانوياً بحيث وضعه في مستوى متدنٍ كثيراً عما كان عليه الآلهة الآخرون ، وفي مظهره الثاني باعتباره زوجاً للالهة «اناثا» اصبح يستمد مكانته من مكانة زوجته وليس من مركز ذاتي له ، اما في هذا المظهر الذي اصبح فيه احد آلهة العالم الاسفل ، فنستطيع القول انه قد شغل مركزاً رسمياً خاصاً به في العقائد القديمة ، واصبح بذلك مكلفاً بواجب ديني يؤديه في اطار مركزه هذا ، ولذلك فليس من المستغرب على ما نرى ان تنظر الديانة الرسمية الى هذا الواجب على انه الدور الوحيد للاله «دموزي»⁽³⁷⁾ كما يتضح لنا من التعاويذ الدينية التي كانت تؤلف من قبل الكهنة وخاصة الآشورية منها⁽³⁸⁾ . في الوقت الذي ظل فيه دوره في المظهرين الآخرين مقتصرأ على النصوص الشعرية والاساطير بشكل اوحى للاستاذ «هنري فرانكفورت» بأن عبادته كانت شعبية وليست دينية⁽³⁹⁾ ، ونحن نؤيد هذا الرأي ونتفق معه في

ان بإمكاننا ايراد دليلين يثبتان ان الاله «دموزي» كان واحداً من آلهة العالم الاسفل ، وهذان الدليلان هما :

الدليل الأول :

ونستخلصه من القاب الاله «دموزي» نفسه ، حيث انه عرف بجملة القاب تفصح عن دوره باعتباره احد آلهة الموت

في العالم الأسفل ، ومن بين تلك الالقاب^(١١) نذكر :

١ - «سيد ارلي (وهو اسم العالم الأسفل)» (Am-a-ra-li)
وبالأكديّة «بعل ارلي» (bel aralli) .

٢ - «ملك الارض البعيدة (العالم الاسفل)» (Lugal-ki-bad-du) .

٣ - «ملك الجبل (العالم الاسفل)» (Lugal-kur-ra) .

٤ - «ملك ارض الالعودة (اي العالم الاسفل ايضاً)» (Lugal-sag-nu-gi4-a) .

الدليل الثاني :

وبامكاننا ان نستمد من محتويات النصوص المسارية المختلفة المواضيع ، والتي حملت اشارات واضحة عن وجود «دموزي» في العالم الاسفل كواحد من آلهته ، وانه كان يقوم بالواجبات المناطة به اسوة بالآلهة الاخرى في ذلك العالم ، وهذه النصوص هي كما يأتي :

١ - النص السومري المعروف بعنوان «موت گلگامش» وقد قام بترجمته في السنوات الأخيرة الاستاذ «كريم» ويدور موضوعه حول موت «گلگامش» ونزوله الى العالم الاسفل محملاً بالهدايا والقرابين التي قدمها بعد نزوله الى آلهة ذلك العالم الذين ترد اسمائهم في النص ومن بينهم الاله «دموزي»^(١٢) .

٢ - والنص السومري الثاني الذي يؤيد كون «دموزي» احد آلهة العالم الاسفل هو النص المعنون بـ «موت اور - نمو» ، ويتضمن قصة موت هذا الملك السومري ونزوله الى العالم الاسفل مصطحباً معه القرابين من الثيران التي نحرها ترفناً لآلهة ذلك العالم الذين جلب لهم معه هدايا مختلفة تتضمن الاسلحة والحقائب الجلدية والآنية والثياب والحلي والجواهر ، وقدم لكل واحد منهم هديته في قصره الخاص به ، ويذكر النص ان الاله «دموزي» كان من بينهم وانه نال ما يخصه من هدايا «اور - نمو»^(١٣) .

٣ - نعرف ان سكان العراق القدماء كانوا يطلبون - بسبب او بأخر - بركات اي اله وعونه حين الحاجة دون ان يستثنوا من ذلك آلهة العالم الاسفل الذين لم يكن وجودهم فيه يؤثر على مقدراتهم على الارض كما نفهم من النصوص الدينية المتعددة والتعاويذ الكثيرة ، كما انه كان بإمكان اي من آلهة العالم الاسفل الصعود الى السماء وحضور اجتماعات الآلهة هناك باستثناء الهته الرئيسية

«ايرش - كيگال» التي لم تكن ترغب في ترك عالمها بسبب تحملها للمسؤولية الاولى فيه ، وهذا ما نفهمه من الاسطورة الاكديّة «نرگال وايرش - كيگال»^(١٤) . فاذا وضعنا هذه المعلومات امامنا وربطنا ما بينها وبين صيرورة «گلگامش» بعد موته الهاً من آلهة العالم الاسفل كما يتضح من نص «موت اور - نمو» المشار اليه في الفقرة السابقة والذي ورد فيه اسم «گلگامش» ضمن قائمة آلهة العالم الاسفل التي يذكرها النص ، اضافة الى ما تشته محتويات بعض النصوص الاخرى^(١٥) ، فاننا نخرج بنتيجة تمكننا من توقع طلب بركات «گلگامش» وعونه في النصوص الكتابية باعتباره واحداً من آلهة العالم الاسفل ، وهذا ما حصل فعلاً في نص الملك السومري «اوتو - كيگال» الذي يعلن فيه ذلك الملك تمتعه برعاية «گلگامش» واستناده له في معركته ضد الكوتيين ويقرن ذكر «گلگامش» في نصه هذا مع الاله «دموزي» اذ انه يشير الى معونتها سوية له في النص^(١٦) ، ونتيجة لكل ما تقدم فقد اصبح من الواضح ان «اوتو - كيگال» يريد القول بأنه قد حصل على بركة «دموزي» و «گلگامش» ومساعدتها باعتبارهما من آلهة العالم الاسفل ، وبذلك نكون قد امتلكننا دليلاً آخر على ان الاله «دموزي» كان واحداً من آلهة العالم الاسفل .

٤ - وهناك دليل آخر يتأتى من الاسطورة الاكديّة المعنونة باسم «ادابا» الذي قرر «أنو» استدعائه الى السماء بسبب كسره جناحي الريح الجنوبية ، ولكن الاله «ايا» (انكي) قرر مساعدته لينجيه من عقاب الآلهة «أنو» على فعلته تلك فأرشدته بأن يترك شعره اشعث ويرتدي ثوب الحداد ويدعي انه فعل ذلك حزناً على الهين كانا قد رحلا عن الارض وهما «تموز» و «ننكشزيدا» - وكان احد آلهة العالم الاسفل - ، وذلك لأن الاله «ايا» كان يعرف بان «ادابا» سوف يلقاهما واقفين يحرسان بوابة الاله «أنو» ، وبالفعل فإنه حين صعد «ادابا» وعرفا منه انه حزين بسبب اختفائهما عن الارض قدما له المساعدة امام الاله «أنو»^(١٧) . والذي يهمننا من هذه الاسطورة هنا هو ان الاله «تموز» قد اعتبر من قبل الاكديين الهاً من آلهة العالم الاسفل ، ويكلف بواجبات خاصة ضمن دوره ذاك برفقة اي اله آخر من آلهة ذلك العالم كما تفصح اسطورة

أحد آلهة العالم الأسفل ، وأنهم وضعوا له المظهرين الأول والثاني ليبرروا نزوله إلى العالم الأسفل وصيرورته واحداً من آلهته ، واستمر هذا المظهر وهو الثالث حتى مجيء الأكديين الذين أدخلوه كما هو في عقائدهم فاعتبر «تموز» وفقاً لها أحد آلهة العالم الأسفل ، ولم يعيروا اهتماماً للمظهرين الأولين في نصوصهم المكتوبة .

والآن فقد وضعنا بصورة وافية ان «دموزي» (تموز) لم يكن إله الخصوبة في العراق القديم ، وان الإله «انكي» هو الذي كان إله الخصوبة الرئيس ، ووضعنا الدور الكامل للإله «تموز» في العقائد العراقية القديمة .

«آدابا» . ان الملاحظة المهمة التي تشير إليها بخصوص هذه الأسطورة هي انها توضح ان تمتع الإله «تموز» بقدرات خاصة بآلهة العالم الأسفل واداءه للواجبات التي كان يكلف بها وهو بهذا الدور لم يكن ليغير شيئاً من نظرة سكان الأرض عن كونه إله راحل يتوجب الحزن عليه ، وان هذا الحزن والحداد كان يرضيه وانه يمثل عوناً من التقرب إليه لكسب رضاه .

وهكذا نكون قد اتينا من شرح المظاهر الثلاثة التي عرف بها الإله «دموزي» ولدينا ملاحظة أخيرة تتعلق بتسلسل هذه المظاهر ، فقد ظهرت جميعها في النصوص السومرية ، ويبدو ان السومريين قد اعتبروا «دموزي»



الهوامش

19. Ibid., p. 122.

20. Ibid., pp. 173-81.

21. K. Tallqvist, "Akkadische Gotterpitheta", in *STUDIA ORIENTALIA*, VII, (Leipzig, 1938), p. 292.

22. Ibid., p. 450 f.

23. S. N. Kramer, *The Sumerians*, p. 221.

24. S. N. Kramer, *The Sacred Marriage Rite*, (London, 1969), p. 154.

٢٥ - بخصوص تلك النصوص يراجع نفس المصدر السابق :

P. 56 and b. 70 f.

26. K. Tallqvist, *Op. Cit.*, p. 470.

27. S. N. Kramer, 1. *The Sumerians*, pp. 250-1; and 2. *Sacred Marriage. Rit.* p. 77 f.

28. Ibid., 1 - p. 252; 2 - p. 76 f.

29. Ibid., 1 - p. 252; 2 - pp. 73-6.

30. Ibid., 1 - p. 252 f.; 2 - pp. 68-71

31. S. N. Kramer, *The Sumerians*, p. 159.

32. S. N. Kramer, *Sacred Marriage Rite*, p. 72 f.

33. Ibid., p. 67.

34. Ibid., p. 57.

35. H. Frankfort, *Kingship and the Gods*, (Chicago, 1948), p. 288.

36. Ibid., Loc. Cit.

37. H.W. Saggs, *The Greatness that was Babylon*, (London, 1962), p. 377.

38. Th. Jacobsen, *Toward the Image of Tammuz*, p. 75 f.

39. H. Frankfort, *Kingship and the Gods*, p. 288.

40. K. Tallqvist, *Op. Cit.*, p. 469 f.

41. S. N. Kramer, in *ANET*, 3rd ed., (1969), p. 51; B-13.

1. *The Greatness that was Babylon*, (London, 1962), p. 377.

2. *Toward the Image of Tammuz and other Essays on Mesopotamian History and Culture*, (Harvard University Press, 1970), ed. by William L. Moran, p. 29.

3. "Dumuzi's Annual Resurrection: An Important Correction to 'Inanna's Descent'", in *BULLETIN OF THE AMERICAN SCHOOL OF ORIENTAL RESEARCH*, 183 - New York, Oct., 1966, p. 31.

4. S. N. Kramer, *The Sumerians*, Chicago, 1964, p. 171.

5. Ibid., p. 179.

6. Ibid., p. 181.

7. Ibid., p. 312.

8. Ibid., p. 196.

٩ - طه باقر ، ملحمة گلگامش ، ص ٩٤ ، اللوح السادس : ٩٢ - ١٠٦ .

10. *Cylinder Seal*, (Holland, 1965), p. 12c.

11. Ibid., Loc. Cit.

12. Ibid., Pl. XXIIe.

13. Ibid., Pl. XXII f.

14. G. Contenau, *Everyday Life in Babylon and Assyria* (London, 1964), p. 257.

١٥ - نورة كلدياكيسون ، في : ما قبل الفلسفة (القاهرة ، ١٩٦٦) ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

١٦ - نفس المصدر ص ١٨٥ .

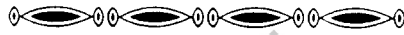
17. S. N. Kramer, *The Sumerians*, p. 119.

18. Ibid., p. 121.

- N. K. Sandars, The Epic of Gilgamesh, (London, 1972), p. 21.
45. S. N. Kramer, The Sumerians, p. 325.
46. E.A.Speiser, in ANET., p. 102; B-14-45.
42. S. N. Kramer, "Death and Nether World According to the Sumerian Literary Texts", in IRAQ, XXII, (London, 1960), p. 60.
43. E. A. Speiser, in ANET., 3rd ed., p. 103 f.

٤٤ - بخصوص ذلك راجع :

* - الجزء ١ - ٢ - المجلد ٣٤ لسنة ١٩٧٨ ص ٢٢ - ٣٩



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی